يومياتي
في رمضان
حتى
مطلع الفجر
منال محمد سالمه
روايات شهرزاد
تصميم
نجوى ضيف الله

يوميات رمضانية

حتى مطلع الفجر

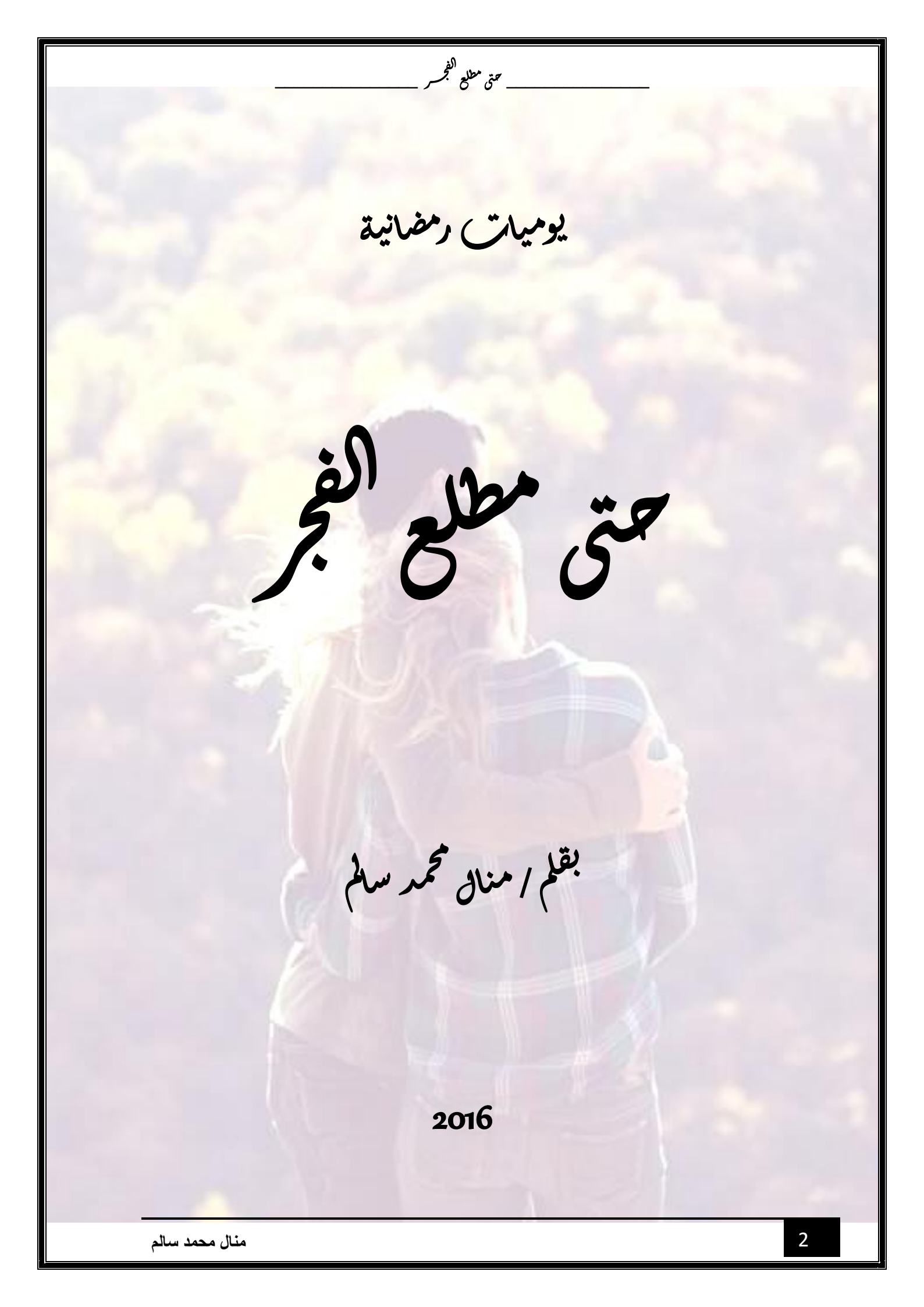

بقلم / منال محمد سالم

2016

تجاوزت دقـــات الساعة الواحدة بقليل حينما فتح ذلك العريس – ذو الطلة الشرقية – باب السيارة لعروسه الجميل ، وركب هو إلى جوارها بعد أن اطمأن أنها قد استقرت في مكانها ..

انطلق ياسر بالسيارة إلى منزلهما المتواضع حيث ليلة العمر التي تنتظرهما رغم غرابة الموقف برمته ..

فلم يتوقع هو وعروسه سارة - ذات الملامح البسيطة والغير متكلفة – أن تصبح ليلة عرسهما هي الليلة المتممة لشهر شعبان ، فغداً هو أول يوم لشهر رمضان المبارك ، وليس أمامهما إلا ساعات قلائل ليقضوها سوياً قبل أن يمنعهما الصيام عن بعضهما البعض .. فهو يعلم تماماً أحكام الصيام وما يخصه ..

قضى ياسر وقتاً طويلاً في البحث عن قاعة مناسبة لإقامة حفل الزفاف ، فقد ضاق ذرعاً من كثرة متطلبات الزواج ، ومن طلبات والدة عروسه التي لا تنتهي ، إلى أن انتهى به الأمـــر لحجز تلك القاعة المناسبة – مادياً – له ، ولكن ما لم يضعه في الحسبان هو أن يوافق يوم زفافه يوم إعلان أن غرة رمضان غداً ..

وقت تحديد ميعاد الزواج ، لم يجد ياسر أي مواعيد شاغرة للقاعات سوى اليومين الأخيرين من الشهر ، ولم يتحمل هو أن يتم تأجيل الزفاف إلى ما بعد انتهاء الشهر الفضيل ، فلم يعد هناك بديلاً للتراجع بعد ذلك المجهود المضني الذي بذله ، لذا قرر أن يخاطر ويتزوج في الليلة التي تسبق شهر رمضان بيومين .. ولكن شاءت الأقدار أن تصبح تلك الليلة هي المتممة لشهر شعبان ..

لقد كان يمني نفسه بأن تكون تلك الليلة مميزة بحق ، وبالفعل أصبحت هي كذلك ..

فالكل متعجب مما حدث ، والغالبية كانت تظن أن ميعاد الزيجة هو مزاح من العروسين .. ولكن خالف كلاً من ياسر وســـارة توقعاتهما ، وأصرا على أن تتم مهما تكلف الأمـــر ..

كانت ليلة جميلة بحق ، الكل استمتع فيها بالأجواء الرمضانية الممزوجة بأجواء الأعراس .. ولم تخلوْ موسيقى الحفل من الموسيقى الرمضانية الشهيرة ، ومن تبادل التهنئات بالشهر الفضيل ..

وصـــل كلاهما إلى المنزل بعد برهة من الزمـــن .. أشـــار ياسر لزوجته سارة بألا تتحرك ريثما يفتح الباب لها ، و..

-ياسر بنبرة رخيمة ، ونظرات عاشقة : برجلك اليمين يا حبيبتي

-سارة بخجل : حاضر

حركت سارة ساقها اليمنى أولاً ، ثم دلفت إلى داخل منزل الزوجية الذي كان جميلاً وبسيطاً في أثاثه الحديث .. وجابت بعينيها المكان لتتفحص مملكتها الصغيرة ..

ارتسمت ابتسامة رضا ممزوجة بالسعادة على وجه ياسر حينما رأى نظرات الفرحة تشع من عيني زوجته ..

اقترب هو منها بخطوات بطيئة ، وأسند كفي يده على كتفيها ، ومـــال برأسه ناحية أذنها ، و...

-ياسر بخفوت : نورتي بيتك يا عروسة ، ربنا يقدرني وأسعدك

-سارة بحياء شديد : تسلملي يا حبيبي

-ياسر وهو يتنحنح في خشونة : احم .. آآ.. مش يالا بينا

-سارة بتوتر شديد : آآ.. لالا .. احنا كده كويسين

-ياسر بإصرار : لا والله أبداً ، ده مافيش وقت ، تعالي بس نغير هدومنا ، وآآ..

-سارة بنبرة معترضة : لأ ، أنا عاوزة أفضل هنا ، أنا مبسوطة كده

ثم انحنت ســارة بجسدها قليلاً للأسفل لتجذب طرف فستان زفافها الأبيض ، وســارت بخطوات مسرعة في اتجاه الأريكة المتواجدة في غرفة الصالون ..

عقد ياسر حاجبيه في اندهاش شديد ، ولوى فمه في تهكم ، ثم ..

-ياسر بنبرة ممتعضة وهو يشير بيده : إنتي رايحة فين ، ده أوضة النوم من هنا

-سارة بإضطراب شديد وهي تشير بإصبعها : بليز ياسر ، أنا .. أنا مش حابة آآ.. اعمل حاجة غصب عني .. أنا .. آآ.. مبسوطة هنا

-ياسر مقاطعاً بهدوء : خلاص مافيش داعي للتوتر ده كله ، خلينا أعدين كده ..

-سارة بإقتضاب وقد عبست ملامح وجهها : اوكي

وضع ياسر كف يده على طرف ذقنه ، وأخــذ يحكه قليلاً ، ثم ..

-ياسر لنفسه في حيرة : طب أقنعها إزاي انها تدخل تغير هدومها ، مممم... مش عاوز أوترها أكتر ماهي ، ومش عاوز برضوه أضيع الوقت .. ده الفجر بيدن بدري ، وأنا معدتش قدامي إلا حبة أد كده ..

جلست ســارة على الأريكة ، وظلت تفرك أصابع يدها في توتر شديد ، وأطرقت رأسها للأسفل في حياء ، ولم تنظر في اتجاه زوجها الذي تحبه ..

هي تريد أن ترتمي في أحضانه ، أن تنعم بوجودها معه ، أن تتمتع به كما حلمت ، ولكنها تخجل من أن تفعل أي شيء .. فهي لم تعتدْ بعد على كونهما بمفردهما ..

تنحنح ياسر مجدداً ، وجلس إلى جوار سارة التي تحركت قليلاً لتترك مسافة بينهما ، فرمقها بنظرات مغتاظة ، ولم ينطق بكلمة ..

تحرك هو مجدداً ليلتصق بها ، فانتفضت فزعاً في مكانها ، ونهضت عن الأريكة ، وتحركت خطوتين للأمـام وعلى وجهها علامات الذعـر الممزوجة بالارتباك ..

نهض ياسر هو الأخـر من على الأريكة ، ووقف خلفها ، ثم ..

-ياسر بنبرة مازحة : مالك اتخضيتي كده ليه ، ده أنا بس كنت عاوز أقولك وحوي يا وحوي وأوريكي الفانوس

-سارة بعدم فهم : فانوس ايه ؟

-ياسر مبتسماً ابتسامة عريضة : فانوس رمضان يا سارسوورة ، ده حتى صنع في الصين

-سارة وهي ترفع أحد حاجبيها في استغراب : نعم .

-ياسر بتهكم زائف : الصين مخالتش حاجة إلا وعملتها ، ناس مش عاتقة

-سارة وهي تهز رأسها في خفوت : أهـا

اقترب ياسر من زوجته حتى صـار قبالتها ، ثم وضع يده أسفل ذقنها ليرفع رأسها للأعلى قليلاً و...

-ياسر بصوت رخيم : بحبك يا سارة حب النقاش للمحارة

رمقته هي بنظرات مغتاظة قبل أن تتشدق بـ ..

-سارة بحنق : نعم ، انت هتألش معايا ؟

-ياسر مبتسماً في هدوء : يا حبيبتي أنا بلطف وأعطف بس

أزاحت سارة يده بعيداً عنها ، واستدارت بجسدها لتوليه ظهرها ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ، و...

-سارة بضيق زائف : طب لو سمحت متهزرش معايا بالشكل ده عشان أنا بضايق

دار ياسر حولها ، ثم مد كفي يده ليحل ساعديها المعقودين ، ونظر مباشرة في عينيها بنظرات رومانسية و...

-ياسر بخفوت : بعشقك يا عمري كله ، انتي حبيبة قلبي

-سارة بخجل : وأنا كمان بحبك

-ياسر بنبرة لئيمة وهو يغمز لها : طب مش يالا بقى

-سارة بتوتر شديد ، ونبرة متلعثمة : يالا فين ؟

-ياسر بنبرة ساحرة : نشوف الفانوس

-سارة بإرتباك واضح : لالالا .. أنا .. أنا جعانة ، وعاوزة أكل الأول

لـــوى ياسر فمه في امتعاض ، ثم أخفض بصره قليلاً ، وتنهد في إرهـاق و..

-ياسر على مضض : طيب ، ماشي ، بس نغير هدومنا الأول الله يكرمك لأحسن الكرافتة خانقتني ، وأنا زهقت

-سارة وهي تتمتم بإيجاز : ماشي

ثم ســـارت هي بضع خطوات للأمـــام ، وفجـأة استدارت للخلف برأسها ، و..

-سارة بنبرة محذرة وهي تشير بإصبعها : إياك تيجي ورايا ، ماشي ؟

-ياسر مبتسماً ببلاهة : اه طبعاً ..

ثم دلفت هي إلى داخل غرفة النوم ، وأغلقت الباب من خلفها ، وأوصدته بالمفتاح ، وظلت تتأمل الغرفة من حولها بنظرات مبهورة ومليئة بالإعجاب ..

تنهدت هي في سعادة ، ثم اقتربت من الفراش ، وتلمست بإصبعها الزي المخصص لها كعروس ، وتوردت وجنتيها خجلاً حينما تخيلت نفسها ترتديه أمام حبيبها ..

.....

ظل ياسر يجوب الصالة ذهاباً وإياباً ، والتوتر يقتله ، فهو يريد قضاء الوقت المتبقي قبل إنطلاق مدفع السحور في أحضان زوجته ، ولكنها إلى الآن تتمنع عنه وتتدلل عليه ..

هو يتفهم طبيعة خجل العروس ، ولكنه لا يريد إضاعة الوقت ..

وضع ياسر كلتا يديه على رأسه ، ومررهما في شعره وظل يحكهما في انزعـــاج و...

-ياسر لنفسه بتذمر واضح : الوقت بيجري ، وأنا واقف هنا محلك سر ، يا ربي ، أعمل ايه بس ، اووف ، وبعدين هي بتعمل ايه كل ده جوا ، بتخترع الذرة ..!!!

.....

اعتلت شفتي سارة ابتسامة عذبة وهي تنظر إلى هيئتها في المرآة بعد أن بدلت فستانها الأبيض ..

وظلت تتحسس شعرها ووجنتها المتوردة بخجل ، ثم أحكمت غلق الروب الموضوع على جسدها لتخفي مفاتنها ، وأخذت نفساً عميقاً ، وزفرته مرة واحدة قبل أن ..

-سارة لنفسها بقلق : اهدي يا سارسوورة ، مافيش أي حاجة هتحصل ، انتي بس اطلعي كلي وخلاص ، وبعدين ده حبيبي اللي أنا كنت بحلم أكون وياه ، مش لازم أكون متوترة بالشكل الأوفر ده .. لالالا .. مايصحش أصلاً يشوفني كده ، يووووه

ثم انتبهت هي إلى صوت الطرقات الخافتة على باب الغرفة ، فتوترت أكثر ، و..

-سارة بنبرة متلعثمة : مـــ... مين ؟

-ياسر بنبرة عالية : أنا يا حبيبي ، هاكون مين يعني

-سارة بجدية مصطنعة وهي محدقة بالباب : انت عاوز ايه ؟

-ياسر بنبرة مرحة : أدونا العادة الله خليكم

-سارة ضاحكة : هههههههه.. روح خد من الجيران

-ياسر بنبرة هادئة : جيران مين السعادي ، ده الكل بيتسحر ، تعالي يا حبيبتي بقى لأحسن كده مش هانخلص غير على مطلع الفجر

-سارة بنبرة خجلة : ماشي ، بس مش هانعمل حاجة ، أنا هاكل وبس

-ياسر بجدية زائفة وهو يهز رأسه : أكيد طبعاً ، احنا هنتسحر ، ده حتى في السحور بركة

-سارة بخفوت : ماشي

وبالفعل فتحت ســـارة الباب ودلفت إلى الخـــارج وهي تسير بخطوات مرتبكة ، ورأسها مطرق للأسفل ، في حين وقف زوجها ياسر محدقاً بها وبجمالها الآخـــاذ ، و...

-ياسر بنبرة متحمسة تحمل المزاح : اللهم صلي على النبي ، هو في كده .. لألألأ .. مقدرش أنا على الحلويات دي

-سارة بخجل : بليز

-ياسر وهو يدندن بخفوت : رمضـــان جانا .. أهلا رمضان

عبست هي بوجهها قليلاً ، وقطبت جبينها ، ثم رمقته بنظرات ضيقة قبل أن تردف بـ ....

-سارة وهي تعقد حاجبيها في انزعاج : هو أنا شبه رمضـان !!

ابتسم هو لها ابتسامة عريضة ، ثم اقترب منها ، وأمسك بكفي يدها ، ورفعهما إلى شفتيه وقبلها في حنو و...

-ياسر بخفوت آســر : انتي بالنسبالي بقيتي يا ليلة العيد أنستينا ، وجددتي الأمـل فينا

ابتسمت هي في خجل ، وأدارت رأسها للجانب ، فقرر هو أن يقترب أكثر منها ، ويضمها إليه ، ولكنه توقف عما يفعل حينما سمع صوت المكبر الخـــارجي للمسجد القريب يصدح بـ ....

-شخص ما بنبرة عالية : مـــدفع الإمســـــــــاك ، إضـــرب ...!

-ياسر بنبرة مصدومة وهو جاحظ العينين : نعم ... هو أنا لحقت !! كده كتير وربنا

وضعت سارة كف يدها الرقيق على كتف زوجها ، وربتت عليه ، وحاولت أن تخفي ابتسامتها الساخرة ، و...

-سارة مبتسمة في سعادة : معلش يا حبيبي ، مالناش نصيب

-ياسر بنبرة منزعجة وهو يلوي فمه : بس خلاص ، سيبيني في حالي ، ده الدنيا صيـــــــــــام .....!!!

تمت بحمد الله